SHE CAN
مجموعة من النساء العابرات جنسيًا تخترق الحواجز

SHE CAN هي مجموعة شريكة حاصلة على منحة أسستها وتديرها لاجئات عابرات جنسيًا من سوريا ولبنان تركّز على بناء القدرات والتواصل المجتمعي وإنشاء الموارد والبنى التحتيّة من خلال مشروع "Empower Lab" المموّل من صندوق درّية النسوي. يسعى المشروع إلى توفير المعلومات المفيدة والموارد، بالإضافة إلى مساحة داعمة من خلال بناء منصّة مجتمعية على الإنترنت.

تقول رينيه أدانوف وهي ناشطة شابّة عابرة جنسياً عاشت كلاجئة في لبنان لسنوات طويلة قبل أن تنتقل إلى كندا: "بعدما كنت شاهدةً على قوّة مجتمعي وقدرته على الصمود، هذا المجتمع المهمّش من النساء اللاجئات العابرات جنسياً في لبنان اللواتي يرفضن الاستسلام ويصرن على البقاء والنضال من أجل حياتهن وحقوقهن على الرغم من الحواجز المنهجية التي لا تطاق، شعرت بالإلهام لأداء العمل الذي أقوم به في She Can". يواجه مجتمع العابرين جنسياً، وخاصّةً اللاجئين منهم، مجموعةً معقّدة من ضروب القمع والعنف والتمييز؛ من الوصمة الاجتماعية إلى الاقصاء الاقتصادي، وصولًا إلى المخاطر الأمنية، وعدم إمكانية الوصول إلى خدمات الرعاية الصحّية والملاحقة القضائية التي ترعاها الدولة. على مدى عقودٍ من الزمن، وجدت العابرات والعابرون جنسيًا العزاء والدعم في بعضهم البعض، وقاموا ببناء مجتمعاتٍ وأسر بديلة للبقاء في ظلّ واقعٍ يتّسم بالوحشية؛ وقد تحوّل الكثير منها أيضًا إلى مجموعاتٍ ناشطة ومجموعات حقوقية أكثر تنظيماً.

تقول رينيه: " تغذّي شجاعة مجتمعي تصميمي على المناصرة من أجل مجتمعٍ أكثر عدلاً وإنصافًا حيث يمكن للجميع أن يزدهروا". يكتسب المجتمع قيمةً كبيرة بالنسبة لها، سواء عاطفياً أو مهنياً.

عندما سُئلت رينيه عن القصّة التي أثّرت فيها أكثر من غيرها خلال رحلتها الناشطة، أجابت أنّ قصّة She Can ذاتها تعني لها أكثر. "نتحدّث عن مجموعة من الشابات اللاجئات العابرات جنسياً اللواتي كافحن ضدّ الرفض والتمييز والعنف في سوريا ولبنان ووجدن القوّة الضروريّة داخل أنفسهن وفي بعضهن البعض لخلق مساحة آمنة معًا". هكذا ولدت She Can، وهي مساحة صديقة يمكن من خلالها تبادل الخبرات والقصص والحصول على دعم الأقران والعزاء، بالإضافة إلى الحلم بالتغيير وبناء المناصرة.

غير أنّ الرحلة إلى النور لا تخلو من المطبّات. فالتحدّيات ستبرز على طول الطريق ولا بدّ من التغلّب عليها من خلال القوّة الجماعيّة. توضح رينيه قائلةً: "لا يسعني أن أخصّ تحدٍّ واحد بالذكر، فالتحدّيات كانت عديدة". في سياقٍ يعمّه رُهاب التحوّل الجنسي والعنف الأبوي والأزمة الاقتصادية والعنصرية والفساد، تعيّن على رينيه ومجموعتها النضال على جبهات متعدّدة لضمان حقّهن في الوجود والبقاء والازدهار. لم يكن الصمت والاستسلام على جدول أعمال منظمّة She Can. تقول رينيه: "لقد واجهنا معارضة من العديد من الجهات الفاعلة القوية ومن اتجاهات مختلفة، ولكن ظهرت عقبة صعبة بشكل خاصّ عندما كان علينا إيجاد مكانٍ لأيام تدريبنا الطويلة في لبنان، مكان لا يكون خاليًا من التمييز فحسب، بل يكون أيضًا آمنًا لجميع المشاركات". تعيّن على المجموعة الاستعانة بحلول إبداعية ومبتكرة لضمان سير خططها بسلامة وأمان. ولقد نجحت في ذلك!
تقول رينيه بحزم: "لقد عملنا بلا كلل لعدّة أيامٍ حتى توصّلنا إلى طريقة للتغلّب على هذه العقبة. لم نكن لنتراجع. كان علينا أن نلتقي كمجموعة. فعملنا يعتمد على ذلك. ووجودنا يعتمد على ذلك. القدرة على الصمود، الدهاء والالتزام: تلك هي الكلمات المفاتيح الثلاث التي نهتدي بها".

لا شكّ في أنّ قياس أو تقييم أثر العمل المجتمعي هو عمليّة صعبة. يشكّل بناء وتعزيز قدرات مجموعة من الناشطين المحرومين رحلةً تراكمية لا تقدّر بثمن. تقول رينيه: "بعبارات ملموسة، يُسجّل تحوّل في المواقف والتصوّرات في صفوف مجتمع العابرات جنسياً الذي تعمل معه She Can، وهنالك أيضًا وصول متزايد إلى الموارد وتحسّن في الظروف المعيشية. هذا أمر مطلوب للغاية ويحظى بتقدير كبير". عندما يتم استهداف مجتمع ما على مرّ التاريخ وقمعه بوحشية من قبل قوى خارجية كما هي حال مجتمعات العابرين جنسياً في جميع أنحاء العالم، يولّد ذلك عنفًا داخليًا واستياءً ينخر هذا المجتمع ويلتهمه من الداخل. بالتالي، تولي She Can أهمّيةً قصوى لتنمية قيم التعاطف والتضامن والعمل الجماعي داخل المجموعة. لا تمكّن هذه القيم المنظّمة نفسها فحسب، بل أيضًا الأفراد الذين يشعرون بعد ذلك بالدعم الكافي للنمو والمطالبة بحقوقهم.

تؤكّد رينيه: "أحرص على الاستماع إلى أصوات الفئات المتأثّرة بشكلٍ مباشر بالعمل الذي أقوم به." وتواصل قائلةً: "هكذا أضمن أنّني على اتصال مستمرّ بالعالم الحقيقي لتحديد مجالات النمو والمناصرة المستمرّين." اختتمت رينيه حديثها قائلةً: "يقضي هدفي النهائي بإنشاء والعيش في مجتمع أكثر شمولاً وإنصافًا حيث يمكن للجميع العيش بكرامة واحترام".

تنتهي المحادثة مع رينيه ولكنّ قصّة She Can لا تنتهي أبدًا. She Can هي الدليل الحيّ على القوّة التحويلية الناتجة عن بناء المجتمعات، لاسيما بالنسبة للفئات المهمّشة تاريخيًا مثل النساء العابرات جنسيًا واللاجئات واللاجئين.